منحني فرصة لرؤية العروس والجلوس معها، فذلك أحرىٰ أنْ يُؤدم بيننا

ياللطامَّة!

كما توقعت، لم تختلف هذه العروس عن سابقتها.. مؤدبة.. خجولة.. أما والدتها فسيدة مهذبة فاضلة.. لم يعبها سوىٰ حديثها معي في التفاصيل.. كأني ذهبت للاتفاق وليس للرؤية.. لكن للأمانة لم تسألني عن موعد الزواج.

قدمت العروس الحلوىٰ.. أكلت بعض الشظايا..

ألحَّت أُمُها.. اعتذرتُ لكوني لا أُحبها كثيرًا.

قامت الأم فأحضرت علبة شيكولاتة من الحجم العائلي.. وضعتها بين يدي فشكرت لها صنيعها..

لم أَمُدّ يدي إليها.. أكره الشيكولاته كثيرًا.. والآن زادت كراهيتي لها أكثر فأكثر.

أعطتني واحدة.. أكلتها مضطرًا أيضًا..

ألحَّت في أُخرىٰ.. اعتذرتُ بشدَّةٍ: والله أنا مش بآكل سكريات كتير.

نظرتْ الأُمُّ إلىٰ ابنتها، والبنت إلىٰ أُمِّها بتوجس.. يبدو أنهما توهمتا أني مريض بداء (السُّكَري) والعياذ بالله.

فليكن ذلك..

أفضل من الزواج بالإكراه!

عريس رغم أنفي (ب)

«حوار فطري ثنائي تقتضيه طبيعة الحياة التي فطرها الله عليها، إنه حب خفي ووئام وتكامل تحققه الحياة بأسلوبها المتنوع»

ما إن خرجنا من بيت العروس- التي صُحبت إليها قسرًا- حتىٰ ابتدرني بالسؤال المعتاد:

- إيه الأخبار يا أخي؟! والله ناس طيبين، والبنت ما شاء الله عليها: أدب، ودين، وحَسَب، ونَسَب، و....

- فعلا يا أستاذنا ناس محترمين جدًا، وواضح إن البنت ديِّنة وخَلُوقة

- خلاص يا أخي علىٰ بركة الله

التقط مولانا التليفون وهمَّ بالاتصال، ففزعتُ قائلا:

- إيه ده! حضرتك هتتصل بأبوها؟!

- أيوه يا أخي

- يا سيدي.. والله، ما هكذا تُورد الإبل

- لا حول ولا قوة إلا بالله، إبل إيه وغنم إيه؟! إنت هتتجوز من قُريش؟! وبعدين الجمال مش كل حاجة

- بصراحة البنت كويسة، لكنها لا تصلح لي، ولا أصلح لها.. والحمد لله حضرتك اعترفت إنها مش جميلة.. وأنا عايز واحدة

جميلة، وباختصار: حَدّ الكِفَاية لا الكَفَاف.

- خلاص يا أخي.. من اليوم فصاعدًا لا شأن لي بأمر زواجك.. فاختياراتي لا تعجبك

- العفو يا مولانا، لا حُرمنا مشورتكم.

****

كنت علىٰ درجة كبيرة من السذاجة عندما تصورتُ أنه سينأىٰ بنفسه عن أمر زواجي- كما قال- فما هي إلا أيام حتىٰ وجدته يعود سيرته الأولىٰ:

- اعمل حسابك بكره يا أخي رايحين مشوار بالليل.

- فين يا مولانا؟!

- مشوار بسيط، هنشوف عروسة.. والله بنت ناس أفاضل وجميلة كمان زي ما أنت عايز، يعني لا حجة لك.

- إنا لله وإنا إليه راجعون!

- لا حول ولا قوة إلا بالله، إنت بتسترجع يا أخي؟!

- يا أستاذنا صدقني أنا لن أتزوج الآن، ولن أتزوج بهذه الطريقة

- قوم يا أخي هات لي كتاب المقدمة- يقصد مقدمة ابن خلدون- عايزه

- يا مولانا خلينا في مقدمة الزواج دي

لم يجبني..

التقط أجندته الحمراء التي كانت تعج بأرقام الهواتف ليجري اتصالا:

- السلام عليكم.. مين؟ العروسة؟!

- .....

- إيه أخبارك؟

- .....

- إنتِ عارفة إني جايب لك عريس بكره

كان مولانا يتحدث في التليفون، بينما كان الغيظ ينهش أمعائي ويعتصر فؤادي.. كنتُ أسمعُ صرير أسناني.. وأُحسُّ بضغطي يرتفع شيئًا فشيئا.

يا مثبت العقل والدين يارب!

من الممكن أن أُسمي المكالمة (في مناقب العريس)!

لم يكن أمامي إلا الرضوخ والإذعان معًا.. فحبي للرجل لا أعدل به أحدًا إلا أبي- بارك الله في عمره-.. لمستُ منه حرصًا عليَّ كأحد أبنائه الثلاثة.. وشاهد جميع من حوله حبَّه لي، وكثيرًا ما كان يُسأل عن هذا الأمر.. وعندها تكون إجابته: هو عندي بمنزلة أولادي.. ولكنه عصبيٌ، صلب الرأي، لا ينزل علىٰ مشورتي.. تمامًا كأنس.

لما كان الغدُ ارتديتُ طبقات من الملابس بعضها فوق بعض.. كان الجو باردًا جدًا.. لكن كان عليَّ أن أتخلص مما فوق البدلة من ملابس فأبدو بالبدلة ورابطة العنق..

هكذا يريدني مولانا الذي لم أره إلا بكامل زِيِّه، حتىٰ في المصيف والمتنزهات.

وبينه وبين الأحذية ذات الأربطة ثأرٌ ظل ممتدًا حتىٰ مات.. إنه يضيق ذرعًا بفكِّها وربطها كما لو كانت سِحْرًا وشعوذة.. وطالما قال لي منتقدًا: يا أخي- والله- بتُشْقِي نفسك بالأحذية دي، الأمر أسرع من هذا.

ثمة أمرٌ آخر كان مولانا يراه من تمام الأناقة..

إنها ساعة اليد!

لطالما سألني: فين ساعتك؟! والردُّ مُعتاد مني: مش بالبس ساعات يا مولانا.. أكتفي بالمحمول.

دخلنا منزل العروس..

نفس الحفاوة.. نفس الكلام الذي كان أستاذنا يقوله في العريس.. سيناريو متكرر.. فقط يتغير المكان ويبقىٰ السيناريو بكامل مشاهده.

لم يكن هناك طعام.. فقد اشترطت عليه ذلك؛ حتىٰ لا يُسبب لي حَرَجًا.. فلا أسمح لنفسي أن أذهب إلىٰ عروس لن أتزوجها وآكل في بيتها.

ما عرفته فيما بعد كان جديرًا بالدهشة!

لقد قال لي مولانا ذات مرة: والله يا أخي إنت ظاهرة عجيبة! كل ما تروح لواحدة ربنا يكرمها وتتخطب بعد مدة يسيرة! إيه رأيك نخلِّيك مشروع قومي لتزويج العوانس؟!

وضحك- رحمه الله- حتىٰ سعل كما عادته.

المهم، كان لابد لي من التخلص من العروس بشكلٍ أكثر لياقة

ولباقة.. واهتديتُ إلىٰ حيلة- سامحني الله- رأيتُ فيها الخلاص رغم أنها كانت لطيفة، وعلىٰ قدر معقول من الجمال قياسًا بسابقيها..

فماذا لو أن العروس هي مَنْ رفضتني؟!

أظن أن الأمر لن يُسبب لي حَرَجًا، وعندها قد تكون المرة الأخيرة التي يتدخل فيها مولانا في أمر زواجي.

دعاني للجلوس مع العروس علىٰ انفراد لنتجاذب أطراف الحديث..

كنتُ صادمًا جدًا

تحدثتُ في أمور أصابتها بالكآبة.. ليس لموضوعاتها فقط؛ وإنما لأن الوقت لم يكن مناسبًا لها.

العريس غالبًا ما يُبدي في المرة الأولىٰ- علىٰ الأقل- تلطفًا، ويجتهد في إخفاء معايبه، فيبدو صحابيًا متسللا إلىٰ زماننا حتىٰ يأنس منها قبولا.. ويُمكنه بعدها أن يُحدِّثَها في أي أمرٍ شاء..

من هذه الأسئلة علىٰ سبيل المثال:

ما رأيك في النقاب؟! مدىٰ علاقتك بالتليفزيون؟! هل بتسمعي أغاني؟! يا ترىٰ بتحبي القراءة؟!

وأسئلة أخرىٰ كانت كفيلة بإعطاء فكرة واحدة عني: العريس ده متشدد جدًا ومحبِّكها قوي..

خرجتُ سعيدًا بما صنعتُ.. كتمتُ قهقهة منتصرٍ في ساحة المعركة.. كانت خطة من نفث الشياطين- والعياذ بالله-!

انقضتْ ثلاثةُ أيام والدكتور لا يُكلمني في شيء.. لم يسألني عن رأيي في العروس ولًا في أهلها كما كان يفعل في كل مرة، يبدو أن خطتي قد نجحت.

مرت عدة أيام ثم بدا لمولانا أن يسألني:

- ما لقيتش عروسة يا أخي؟!

- لا يا أستاذنا.

- طيب.. بص فيه...

قاطعته متخابثًا: طيب والعروسة اللي فاتت يا أستاذنا؟!

- يبدو إن مفيش نصيب يا أخي.

طار قلبي فرحًا.. لكن كان لابد من إبداء بعض الأسف، قلت:

- الحمد لله.

- بتقول حاجة؟!

- بقول الحمد لله الذي لا يُحمد علىٰ مكروه سواه يا أستاذنا.. وبصراحة الموضوع ده سبب لي حرج نفسي بالغ.

- ولا يهمَّك.. فيه غيرها كتير.

- والله يا أستاذنا لو نسيب الموضوع شوية

- هتتخطب لوحدك يعني؟! ماشي يا أخي.

يبدو أنني تفاءلت مرة أخرىٰ أكثر مما يجب.. ظننت أنه سينصرف عن أمر زواجي بلا رجعة.. كيف لا وقد رفضتني العروس؟!

نعم.. هي لم تُفصح عن التفاصيل مكتفية بالرفض دون إبداء

أسباب، لكن لم تمرَّ عدة أيام، حتىٰ أفصحت لوالدتها عن سبب رفضها للعريس.

العريس ثقيل الظلِّ، ومتشددٌ جدًا، وغير اجتماعي.

ثُقلت الأسباب متأخرة إلىٰ مولانا.. فاستنكرها، ونفىٰ التهم إجمالا وتفصيلا.. واكتفىٰ بالقول: هو شاب كويس، ومش متزمِّت زي ما بتقول البنت، وعلىٰ العموم بكره أجوِّزه أحسن منها.

كارثة!

لقد عاد مولانا ليستأنف رحلة الشقاء.. أو رحلة البحث عن عروسٍ!

****

علىٰ غير عادتي كنتُ في القاهرة يوم الجمعة.. لم أسافر هذا الأسبوع إلىٰ البلدة.. خلدت إلىٰ النوم ولم أستيقظ إلا علىٰ جرس التليفون..

- أيوه يا أخي تعالىٰ بسرعة عند الأتراك.. مستنيك علىٰ الإفطار

- خير يا أستاذنا؟ مش ممكن آجي لحضرتك علىٰ صلاة الجمعة؟

- بقولك في انتظارك حالا.. هات تاكسي علىٰ حسابي، وتعالىٰ بسرعة عايزك في أمر مهم

بعد نحو نصف ساعة كنتُ عند الأتراك.. ومع ذلك قال جملته المعروفة:

- يا أخي اتق الله.. اتأخرت ليه كده؟! كل ده جاي في الطريق؟!

اقعد بسرعة كُلْ علشان هتروح مشوار

– فين يا أستاذنا؟

– مشوار يا أخي.. كُلْ مربىٰ التُّوت دي هتعجبك

أكلتُ في لحظات.. وجلستُ بانتظار الشاي التركي الذي يغسل المعدة.. يُصنع فىٰ بَرَّادين يعلو أحدهما الآخر: سُفلي يُوضع فيه الماء ليغلي، وعُلوي يُوضع فيه الشاىٰ مع قليل من الماء ليغلي علىٰ البخار المتصاعد من البراد السفلي مما يجعله محتفظًا بنكهته الطيبة..

لم يسمح لي مولانا بالبقاء حتىٰ يغلي الشاي، فخرجت أغلي...

أعطاني مظروفًا مغلقًا قال إن به بعض الأوراق المهمة.. طلب مني توصيلها إلىٰ أحد أصدقائه الذين كنتُ أعرفهم.

توجهت إلىٰ الرجل لا ألوي علىٰ شيء.. استقبلتني الخادمة فأجلستني في الاستقبال حتىٰ يحضر الرجل..

مر الوقت بطيئًا.. أشرفت علىٰ الأربعين دقيقة دون أن يخرج صاحب المنزل..

لم يقطعها إلا كوب من الشاي الساخن.

تذكرت شاي الأتراك بأسىً، وتجرعت بأسىً أشدّ الشاي الذي بيدي، وأنا لا أكاد أسيغه..

سقىٰ الله هذه الأيام.

عريس رغم أنفي (ج)

«إنها سفينة واحدة لا تحتمل حدة الصراع، وإنما الذي تحتمله هي هذه الزوجية المتحاورة المتنوعة المتكاملة»

لم يكن هناك ما أفعله سوىٰ إمعان النظر في محتويات المكان.. فليس ثمة طريقة أخرىٰ لطرد الملل الذي سيطر علىٰ نفسي وأصابني بالضيق..

ساعة أنتظر بين اللحظة والأخرىٰ قدوم الرجل.. لا أدري لِمَ لَمْ يخرج حتىٰ اللحظة؟!

ربما حبسه حابس!

تحرك مقبض الباب الخارجي فدهشت، ألم يكن الرجل بالمنزل؟!

علىٰ كل لست مسئولا عن مكانه، ولا عن جهة قدومه، لم يكن الرجل.. إنها امرأة أو بنت.. شكَّ الرائي، ألقتْ السلام، ودلفت إلىٰ الحرملك، كان طبيعيًا ألا أنظر إليها.

أبوها يتبوأ وظيفة مرموقة جدًا.. وهو ثريٌّ.. يملك شركة خاصة..

ظهر الرجل.. كان جمَّ الأدب والخلق.. رأيته قبل ذلك كثيرًا.. لم يكن يعرفني كما أعرفه.. وهذا هو الطبيعي.